

كتاب الشهر

بعد 50 مليون نسخة حطّ في المكتبة العربية

جون غراي: دليلكم إلى الحياة الزوجية السعيدة

شكل كتاب "الرجال من المريخ، النساء من الزهرة" ظاهرة لدى صدوره في التسعينات من القرن الماضي. الجدل الذي اشعله الاختصاصي الاميركي جون غراي في عمله ما زال مستمرا الى اليوم، خصوصا لجهة تشديده على وجود فوارق جوهرية بين الرجل والمرأة، وطبيعة تفاعلها مع العوامل المحيطة بهما

اخيرا، اعادت "مكتبة جرير" طباعة كتاب جون غراي "الرجال من المريخ، المرأة من الزهرة" مع مقدمة جديدة للمؤلف الذي اراد في هذا العمل تحقيق الاهداف التالية: بناء علاقات عاطفية تدوم طويلا وخصوصا في هذا الزمن الذي يصعب فيه تحقيق هذا الامر، قراءة الحالة المزاجية للشريك والتجاوب معها بكفاية، تجنب ام المشاحنات وفهم شريك حياتك او حتى زملائك واصدقائك بطريقة افضل من ذي قبل. كل ذلك استنادا الى خبرة الاختصاصي الناجحة في تقديم الاستشارات للافراد والمتزوجين على السواء.

عام 1992 صدر كتاب سيشكل ظاهرة في عالم الاصدارات، ويحدث اشبه بحمي ستمدد لتناول العالم باسره. كتاب جون غراي تحول سريعا الى اكثر الكتب غير الروائية مبيعا في العالم، هو الكاتب الاميركي والاستشاري في العلاقات.

انطلاقا من خبرته الممتدة على سنوات في الاستشارات الناجحة للمتزوجين، اصدر هذا العمل الذي يفند المشكلات والعقبات الشائعة التي تواجه المتزوجين او الافراد في علاقتهم الغرامية. النقطة الاساسية التي انطلق منها المؤلف ان المرأة والرجل كائنان آتيان من كوكبين مختلفين. صورة مجازية للتعبير عن الفوارق النفسية التي تميز الجنسين. احد الامثلة التي يدل فيها المؤلف على الفارق بين الرجل والمرأة هو تدمير الرجل من انه اذا طرح حلا لحدى المشكلات التي تخبره عنها المرأة خلال حديثهما، فان الاخيرة لن تشعر بانها معنية بحل المشكلة بقدر رغبتها في الحديث فقط عنها.

يتوغل الكاتب في الفروقات بين الجنسين

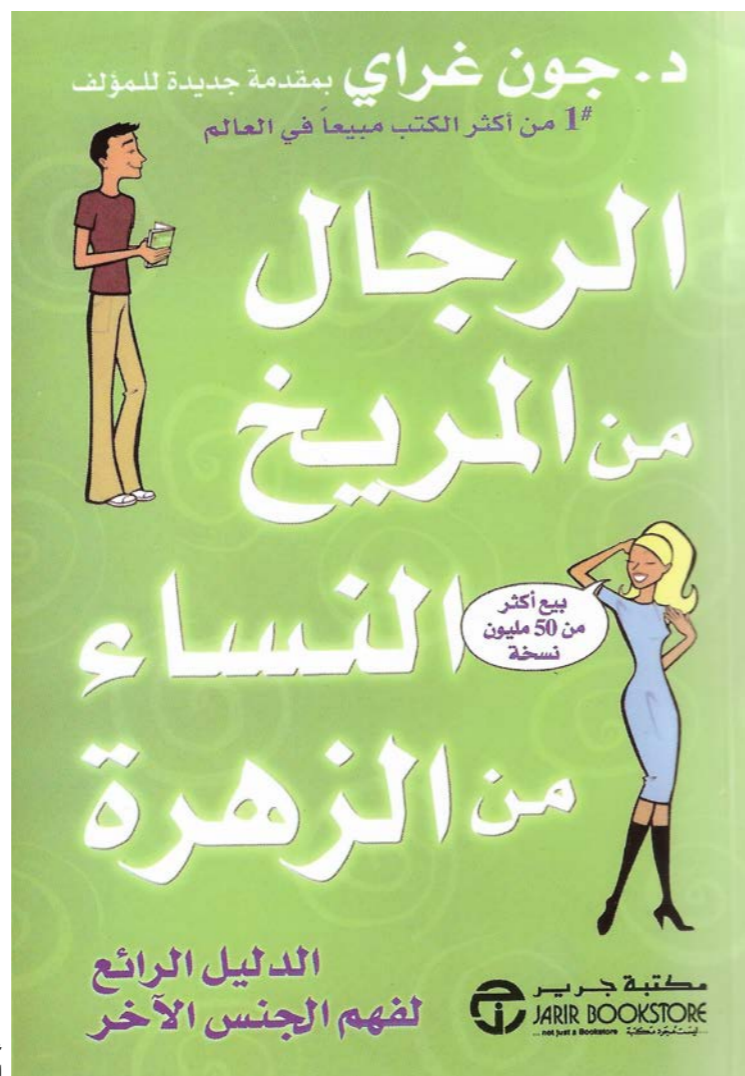
من خلال اختلاف الاثني في التعاطي مع الضغوط والمواقف التي تسبب التوتر. باع كتاب "الرجال من المريخ، النساء من الزهرة" اكثر من خمسين مليون نسخة حول العالم، بل استحق لقب "اكثر كتاب غير رواي مبيعا" في عقد التسعينات وفق قناة "سي. ان. ان"، واكثر الكتب غير الروائية مبيعا في التاريخ بحسب ناشره الاصلي "هاربر كولينز". حتى ان عنوانه صار صورة مجازية شائعة في الثقافة الشعبية للدلالة على الاختلاف الشاسع بين الجنسين، وارسى المسار الذي سيمشي عليه مؤلفه في الكتب اللاحقة التي انجزها، او الندوات التي اقامها، او البرامج التي اطل فيها.

تبدأ النسخة العربية من الكتاب بمقدمة تشير الى ان الكتاب "جاء نتيجة خبرات علاجية عميقة ودراسات ميدانية وتحليل لبيانات جمعت من عينات كبيرة. والمتخصصون الذين يجدون في ثانيا الكتاب ما يثير حفيظتهم من تعميمات مبالغ فيها لا تنسجم مع طبيعة معرفتهم العلمية الدقيقة، فان كتابة المتخصص للقارئ العادي غير المتخصص ونقل المعرفة العلمية بلغة سهلة الفهم، قد تكون على حساب الدقة العلمية، هما فن لا يتقنه الا القليلون. الكاتب استاذ في هذا الفن".

يتوزع الكتاب على 13 فصلا قاربت الاختلافات النفسية بين الرجل والمرأة وسوء الفهم الناتج عنها، ونصائح لكيفية تفادي المجادلات، وتوفير الدعم للشريك واستكشاف حاجات الجنسين العاطفية المختلفة، وتحفيز الجنس الاخر وكيفية التواصل بين الشريكين وصولا الى نصائح وارشادات لابقاء جذوة الحب مشتعلة. وبينما يشدد الفصل الاول على

تفاوت طبيعة الرجل والمرأة، وضرورة وعي الطرفين هذا الاختلاف ما "يساعدنا على ان نصبح اكثر تسامحا وتحملا عندما لا يتجاوب معنا احد بالطريقة التي نعتقد انه يجب ان يتبعها"، يتخذ الفصل الثاني عنوان "السيد الخبير ولجنة تحسين البيت". يدخل هذا الفصل في المشاكل الشائعة بين الزوجين، اولها شكوى النساء من عدم اصغاء الرجال اليهن حين يتحدثن عن مشكلاتهن وهمومهن، في حين ان الشكوى الاكثر شيوعا عند الرجال هي ان زوجاتهم يردن تغييرهم. بعد شرح كيفية عمل هذين الكوكبين المتناقضين (الرجل والمرأة)، يختتم المؤلف فصله بنصائح وجيزة وعملية. يتوجه الى الرجل مذكرا اياه بانه عندما تكون المرأة متضايقة وتحدث عن مشكلاتها، فدوره هنا ليس تقديم الحلول بقدر الانصات اليها طويلا. نتيجة لذلك، ستشعر الشريكة بالتحسن بالتدريج. في المقابل، يتوجه الى المرأة مذكرا اياها ايضا بان "النصح او النقد - خصوصا اذا كان قد ارتكب خطأ - يجعل الرجل يشعر بانه غير محبوب او انه محكوم. انه يحتاج الى تقبلها اكثر من نصحتها لكي يتعلم من اخطائه".

يتوقف جون غراي طويلا عند احد اعظم الفروق بين الجنسين. تحت عنوان "يذهب الرجال الى كهوفهم وتحدث النساء"، يورد الباحث ان طريقة تعايش كل من المرأة والرجل مع الضغوط، تشكل احد اكبر الفروق بين الجنسين. فبينما يشعر الرجل بالتحسن مع حل المشكلات، لا تشعر المرأة بالراحة الا عند التحدث والفضضة فقط. يورد هنا مثلا يوميا في حياة الأزواج. عندما "يعود توم الى منزله مساء، مجهدا بمشكلات يومه، يجد الراحة في نسيان هذه المشكلات ووضعها



غلاف الكتاب.

في مرص الانتقادات

تعرض كتاب "الرجال من المريخ، النساء من الزهرة" لسلسلة انتقادات من بعض علماء النفس والاجتماع الاميركيين، ابرزها انه وضع علم النفس الانساني في قالب من الافكار والصور المنمطة، خصوصا لجهة طبيعة الجنسين. عالم الاجتماع الاميركي مايكل كيمل اشار في هذا الاطار الى ان المرأة والرجل ليسا مختلفين الى الدرجة التي يقترحها جون غراي في كتابه. وراى ان الاختلافات والفروق بين الجنسين التي اوردها في كتابه، تعود الى التربية والمناخ والبنية الاجتماعيين، مضيفا ان الجنسين يريدان الامور نفسها على المستوى الاجتماعي والسياسي. ايضا، في دراسة اجراها بوبي كاروتز وهاري ريس (جامعة واشنطن) على 13 الف فرد، توصل الباحثان الى ان الرجال والنساء ليسا من فئتين مختلفين، ناقضين بالتالي فرضية غراي بأن كل جنس يفكر في علاقته الزوجية ويتصورها بطريقة مختلفة عن الجنس الاخر.

وراء ظهوره والتلهي بقراءة الاخبار مثلا. في الضفة المقابلة، فان ماري لن تجد الراحة من المشكلات التي تشغلها الا حين تتحدث عنها. من هنا، ينشأ التوتر بين الشريكين ويتحول تدريجا الى نوع من الاستياء. توم يفكر في ان ماري تتكلم كثيرا، بينما تشعر هي انه يتجاهلها". من دون فهم هذه الفروق، سيزداد الاثنان بعدا عن بعضهما، وينتقل بعد هذا المثل الى سلسلة نصائح واقتراحات وتسويات لكي يبقى العيش الزوجي متناغما وسليما، ولا يؤدي الى تراكم الاستياءات، بالتالي الانفجار.

فارق جوهرى آخر يتطرق اليه غراي يتمثل في اناية الرجل، وميله الى الاهتمام بنفسه على حساب حاجات شريكته وتطلعاتها احيانا، في حين ان المرأة مضحية بطبيعتها، وهي مستعدة للتنازل عن كل شي من اجل راحة الشريك. وهذا ما يعتبره غراي غير صحي. فالعلاقة السليمة تكمن في حب المرأة لنفسها، وتنازل الرجل عن انايته والاهتمام بشريكته وحاجاتها.

على هذا المنوال، يتوقف المؤلف في كل فصل عند فارق جوهرى في طبيعة الرجل والمرأة، ويعطي الامثلة عليه قبل ان ينتقل الى اقتراح الحلول والمخارج الكفيلة ببناء علاقة وشراكة زوجية متناغمة ومتمينة، قبل ان يختتم كتابه الضخم باقتراحات لابقاء جذوة الحب مشتعلة بين الطرفين. الحب ككل شيء في الحياة، يحتاج الى عمل وصيانة يومية كي يختمر ويحل مع العمر لا العكس. يشدد المؤلف على ان المشاعر والاحاسيس السلبية المكتوبة في قلب احد الطرفين، ستنفجر عاجلا ام اجلا. حين يحصل ذلك، يشجع غراي على التعاطي معها بنضوج وحكمة، وتقبل فكرة ان اصلاح الامور يستغرق وقتا، وان الشريكين قد يحتاجان الى مساعدة من اختصاصي. السنوات السحرية في بداية اي علاقة سرعان ما تخبو، ومع الوقت يبدأ كل شريك برؤية المساوى والامور السلبية في الطرف الاخر. لكن التعامل العقلاني مع تقلبات الحياة وشخصية الطرف الاخر وتحمل الصعاب كلها عوامل تقوي الحب، وتجعله انضج واكثر اشباعا لحاجات الزوجين مع مرور الوقت.